بنت الهدى

بطولة المرأة المسلمة

يقارن بين بطولة المراة فى الاسلام
وبطولتها فى مختلف الحضارات البشرية

سنة ١٩٦٥ م ـ ١٣٨٤ هـ

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف

بنت الهدى

بطولة المرأة المسلمة

سنة ١٩٦٥ م ـ ١٣٨٤ هـ

طبع في مطابع النعمان ـ النجف الأشرف

بطولة المرأة وعلاقتها بالحضارة

قد يكون اهم ما يميز الاسلام في موقفه من المرأة عن غيره من المبادىء والنظم التي عاشت قبله واستجدت بعده هو نظرته الانسانية الى المرأة والرجل على السواء في كل تشريعاته ومفاهيمه ونظرته للمرأة بما هي انثى الى صف نظرته للرجل بما هو ذكر فالاسلام حين ينظر الى الرجل بوصفه انسانا وينظمه ويوجهه ينظر الى المرأة باعتبارها انسانا ايضا ويساويها مع الرجل على الصعيد الانساني في كل تنظيماته وتوجيهاته لانهما سواء في كرامة الانسانية وحاجاتها ومتطلباتها . وأما حين ينظر الاسلام الى المرأة بما هي انثى وينظم انوثتها ويوجهها ينظر في مقابل ذلك الى رجل باعتباره ذكرا ، ويفرض على كل منهما من الواجبات ويعطي لكل منهما من الحقوق مايتفق مع طبيعته وفقا لمبدأ تقسيم العمل بين أفراد المجتمع ، وتنشأ عن ذلك الفروق بين احكام المرأة واحكام الرجل .

فمرد الفرق بين احكام المرأة واحكام الرجل الى تقدير حاجات ومتطلبات الانوثة والذكورية ، وتحديد كل منهما وفقا لمقتضيات

طبيعته. اما في مجال التنظيم الذي يرتبط بانسانية الانسان فلا فرق فيه بين المرأة والرجل، لانهما في نظر الاسلام انسان على السواء. وقد شرحنا هذه النظرة الانسانية للاسلام الى المرأة التي تساوي فيها الرجل في كتاب (المرأة مع النبي) بكل تفصيل، وقلنا ان الاسلام وحده هو الذي نظر الى المرأة نظره انسانية على قدم المساواة مع الرجل، بينما لم تنظر الحضارات الاخرى وحتى الحضارة الاوربية الحديثة الى المرأة الا بوصفها انثى وتعبيرا عن المتعة والتسلية والموقف الحضاري لكل مجتمع من المرأة ينعكس بدرجة كبيرة. وبقدر تغلغل تلك الحضارة على دور المرأة في تاريخ ذلك المجتمع وطبيعة موقفها من الاحداث. فالمرأة في مجتمع يؤمن بأنسانية المرأة والرجل على السواء تمارس دورها الاجتماعي بوصفها انسانه، فتساهم مع الرجل في مختلف حقول البطولات الانسانية، وتقدم أروع النماذج في تلك الحقول نتيجة للاعتراف بمساواتها مع الرجل على الصعيد الانساني. وعلى العكس من ذلك المرأة في مجتمع ينظر اليها بوصفها انثى، قبل ان ينظر اليها بوصفها انسانه، فأنها تنكمش وفقا لهذه النظرة، وتحرم من ممارسة أي دور بطولي على أساس انساني بل يرغمها المجتمع على التعويض عن ذلك بمختلف

الوان الظهور على أساس انوثتها ، وماتعبرعنه من متعةولذة للرجل. ونجد خير مصداق لذلك في تاريخ المرأة التي عاشت في كنف الاسلام ،وفي ظل مختلف الحضارات الاخرى ، فكان دورها ومختلف بطولاتها تتكيف وفقا لطبيعة المبدأ ومفهومه الحضاري عنها . فقد عبرت في ظل الاسلام عن انسانيتها أروع تعبيرة واقامت بطولاتها على هذا الاساس ، بينما لم تعبر في المجتمعات الاخرى اللا اسلامية الا عن انوثتها ، ولم يتح لها ان تقيم لها مجدا الا على أساس هذه الانوثه وبقدر ما فيها من وسائل الاغراء للرجال لا على أساس انسانيتها وبقدر ما فيها من طاقات الخير والاصلاح .

بطولة المراة الاوربية القديمة :

ولنبدأ أولا بالمرأة اليونانية ، ففي اليونان مثلا وهي ارقى الامم القديمة حضارة وتمدنا في التاريخ القديم بذلت محاولات للارتفاع بالمرأة اليونانية وانتشالها من حضيضها الذي كانت تعيشه في عصره البدائي القديم .وفعلافقدتمكنوا من ذلك ولكن على أي حساب وبأي دافع ؟على حساب تكوينها الجثماني ومظهرها الخلقي لاغير ، فتفننوا في نحت التماثيل الفاضحة ونقش الصور المكشوفه، وجعلوا من المرأة رمزا للجمال والحب والعشق ومصدرا للشهوات

الحيوانية والاهواء الوحشية ، وبهذا فقد رفعوا المرأة من وهدتها كأنسانة ساقطة الى صوره خليعة وتمثال من البرنوز ، يركعون بين يديه أكبار النواحي الجمال التي يبرزونها فيه . وكان من جراء جريهم وراء الشهوات الجسيه ان تغلبت عليهم المادة ، وجرفهم تيار الغرائز البوهيمية، وسيطرت عليهم الاهواء الجامحه . وهذه العوامل هي أقوى معول يهدم حضارة الامم ويحط من مكانتها في التاريخ . ولهذا فنحن نرى المرأة اليونانية لا تذكر في التاريخ الا كصورة نقشتها ريشة مصور او تمثال ابدعه فنان . نعم هذا كل ماتبقى للمرأة اليونانية لانها كانت قد تسنمت المجد على حسابه ولسبب منه .

وقد تسنم الرمانيون ذروة المجد والرقي بعد اليونان . وفي الرومان أيضا نلاحظ سلسلة الصعود والهبوط التي كانت تعيشها المرأة في الامة الرومانية فقدكانت لعبة طيعة يتلاعب رجلها بهـا كما يشاء حتى حياتها في بعض الاحوال . وبالتدريج تضاءلت عند الرومان فكرتهم الوحشية على المرأة بعد ان أخذوا يحاولون التقدم نحو المدينة والحضارة فحاولوا ان يرفعوا من مكانة المرأة ، وان يجعلوا منها مخلوقة لها كيان في المجتمع فماذا صنعوا وبأي شيء رفعوا من مكانة المرأة عندهم ؟ وماذا كان دور المرأة الرومانية في

محاولة التميدن تلك : لا شيء غير تبجيل المومسات وتقديس الشهوات وأباحة النساء حتى اضحت بعض المومسات يتلاعبن بأحوال الدولة وشؤونها ، وكانت بيوتهن نواد تضم كل متحضر ، ومتميدن . ولهذا فقد عمت الفوضى الحيوانية من جراء ذلك واختل نظام الدولة وانحطت مكانتها كأمة . وفعلا فقد ذوت دولة الرومان وتلاشت حضارتهم ولم يبقى للمرأة الرومانية من ذكر في التاريخ سوى كونها انثى ساعدت على هدم حضارة امه .

بطولة المرأة الاوربية الحديثة :

ثم جاءت اوربه المسيحية بعد ذلك فكان دورها فيها دورا سلبيا على طول الخط ،ولم تحاول هي اولم يحاول علماء اوربه المسيحية ومفكروها بأن يهيئوا للمرأة أي مجال تلعب فيه او أي منفذ تنفذمنه الى زاوية التاريخ،حتى جاءت اوربه الجديدة فحاولت ان تنهض بالمرأة الاوربية وان تجعل منها عنصرا فعالا في المجتمع ، ففتحت لها أبوابه لتلجه كما تشاء . وولجته فعلا واحتلت مكانها فيه الى جوار الرجل ولكن لا لكونها انسانه ذات كيان روحي مستقل بل لكونها اداة من أدواة تسلية الرجل الذي من عليها بولوج المجتمع ، وفتح امامها مغاليقه . ثم حاولت اوربة الجديدة

أن تتظاهر بمساواة المرأة مع الرجل في قوانينها ونظمها ، وتوصلت الى ما يبدو في ظاهره مساواة ، ولكن واقع مساواتهم هذه جاءت مختلفة عن حقيقة المساواة ، فلم تبرح المرأة الاوربية خاضعة للنفوذ الرجل عليها في كل المجالات وحتى فيما تملكه هي او فيما يحق لها التصرف فيه . وفي قبال هذه المساوات الموهومة استنفذ الرجل منها كل ما يشاء دون قيد او شرط واستعرضها كسلعة رخيصة بعد أن فقدت جميع مقومات انوثتها من عزة وكرامة ، وبعد ان خسرت شخصيتها كأنثى وكيانها كأمرأة واختصر دورها في الحياة ، على تحقيق رغبات الرجل ومتابعته فيما يتفنن لها من أسباب الاناقة وما يهيء لها من طرق الدعارة والاستهتار . هذا هو في الواقع كل ما أحرزته المرأة الاوربية الحديثة وهذا كل ما تمثله اليوم وما تذكر به في الغد يوم تشع الحقيقة في العالم . وهذا هو حال المرأة في مجتمع ينظر اليها كأنثى لا كأنسانة .

— ٩ —

بطولة المرأة المسلمة

أما المرأة المسلمة فقد اعتمدت ببطولتها على انسانيتها فقط بعد ان تبوأت مكانتها السامية في الاسلام على حسابها الخاص وعلى كونها انسانة كالرجل المسلم وهو انسان لها ماله وعليها ما عليه وان اختلفت عنه بالوظائف والتكاليف التي وزعت على البشر كل حسب ما تتطلبه فطرته ويقتضيه تكوينه . ولهذا ولكونها في الصعيد العام انسانه كالرجل برزت شخصيها لامعة وضائة ، وسجلت لها في التاريخ ذكرا عطرا كأروع ما تسجله انسانه مستقلة لها عقيدتها ورسالتها السماوية . وقد عرفت المرأة المسلمة قيمة النصر الذي أحرزته والمستوى الرفيع الذي ارتقت اليه بعد ان قضت عصورا عاشتها وهي في مهملات التاريخ ، ولهذا فقد سعت جاهدة للعمل على اثبات كفائتها لذلك . وكان في كثرة النساء المبادرات للاسلام أصدق دليل على ما حمله الاسلام للمرأة المسلمة من خير وصلاح ، وما هيأه لها من محل رفيع ، وفعلا فقد سجلت المرأة المسلمة في التاريخ الاسلامي أروع صفحات كتبتها بالتضحية والفداء ، وخطتها بدماء الاباء والابناء بعد ان أكد الاسلام على اعتبارها في الصعيد الانساني كأخيها الرجل لا أكثر ولا اقل فكما ان بطولة الرجل

المسلم كانت في مجالين وفي اتجاهين في مجال التضحية والجهاد وفي مجال حمل فكرة الدعوة ، كانت بطولة المرأة المسلمة أيضا في المجالين مجال التضحية والفداء ومجال حمل فكرة الدعوة . وفي كلا الصعيدين كانت تعمل كأنسانه لا كأنثى .

بطولة المرأة فى ميدان حمل الدعوة :

أما في ميدان حمل الدعوة فقد شهدت المرأة المسلمة في صدر الاسلام الحروب والوقعات وجهدت على ان تبرهن بمواقفها البطولية تلك كونها تعمل للاسلام على أساس من أنسانيتها . التي أقرها لها الاسلام ولها الحق في الدفاع عن الرسالة التي تدين بها. وتاريخ المرأة المسلمة يحدثنا عن بطلات ضاهين في بطولتهن الرجال واقتحمن لظى الحروب غير هيابات ولا وجلات . وهذه أحداهن وهي نسيبه بنت كعب بن عمر بن عوف الانصارية وقد كانت سيدة جليلة القدر كبيرة القلب عالية الهمة رفيعة الروح ، وقد اسلمت في أوائل من أسلم وما ان خرج زوجها غزيه بن عمرو وابناها حبيب وعبد الله الى أحد حتى خرجت معهم متطوعة مختارة وفي أحد كانت تقوم بفعاليات مهمة فهي تسقي العطش ، وتداوي الجرحى

وتطبب المرضى. وفي مرة خرجت في أول النهار كعادتها لتسقى جرحى الحرب من المسلمين فانتهى بها المطاف الى رسول الله وهو في أصحابه والنصر للمسلمين ، فلما أنهت مهمتها وعادت لاحظت أن النصر قد جانب المسلمين فأنحازت الى رسول الله، فلما أنهزم المسلمون أخذت بالسيف وجعلت ترمى بالقوس بين يدي رسول الله حتى وصلت اليها الجراح وذلك لما ولى الناس عن رسول الله، وقد اقبل ابن قميئة وهو يصيح دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا، فاعترض له مصعب ابن عمير وناس معه وقد كانت نسيبه أم عماره فيهم فضربها ضربة وضربته على ذلك ضربات ولكنها لم تصبه لانه كان قد تدرع بدرعين من حديد . وقد حدثت نسيبه عن وقعة احد فقالت : انكشف الناس عن رسول الله فما بقى الا نفر لا يتممون العشرة ، وأنا وبناي وزوجي بين يديه نذب عنه والناس يمرون منهزمين . ورأني رسول الله لاترس معي فرأى رجلا موليا ومعه ترس فقال : لصاحب الترس الق ترسك الى من يقاتل فالقى ترسه فأخذته وجعلت اتترس به عن رسول الله . هذا ما روته أم عمارة عن موقفها في أحد وعن موقف الرسول منها واهتمامه بأمرها وهي تذود عنه مع القلة من الرجال وقد استمرت نسيبه بمهمتها تداوي

وتطبب وتقاتل عند ما تدعو الحاجة الى ذلك ، حتى جرح ابنها عبيد بن زيد وجعل دمه يسيل وهي لاهية عنه بقتال الاعداء حتى نادى رسول الله أبنها فقال : اعصب جرحك فتنبهت الى ابنها واقبلت اليه ومعها عصائب قد أعدتها للجراح فربطت جرحه والنبي واقف ينظر اليها . ثم قالت لابنها بعد ان انتهت من تضميد جراحه انهض يابني فضارب القوم فجعل النبي يقول: ومن يطيق ما تطيق أم عمارة ثم أقبل الرجل الذي ضرب ابنها فقال رسول الله هذا ضارب ابنك قالت نسيبه فأعترضت له فضربت ساقه فبرك قالت فرأيت رسول الله يبتسم حتى رأيت نواذجه وقال استقدت يا أم عمارة ثم اقبلوا يعلونه بالسلاح حتى اتوا على نفسه فقال النبي الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثارك بعينك . وفي رواية ان رسول الله كان يقول : لمقام نسيبه يوم خيبر خير من مقام فلان وفلان . وكان الرسول يراها يوم أحد وهي تستبسل بالجهاد وقد شدت ثوبها ومأزرها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا وكان رسول الله يذكر شجاعتها ويقول اني لانظر الى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها . وكان اعظم جراحها وقد داوته سنه ولم يمنعها جراحها هذا عن السعي الى خوض غمار الحرب عندما نادي رسول الله الي حمراء

الاسد فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم واعياها الخروج فباتت ليلتها وهي تداوي جراحاتها المتعددة ، فلما رجع رسول الله من الحمراء أرسل اليها عبيد الله ابن كعب المازني يسأل عنها فرجع اليه بخبر سلامتها ففرح بذلك ،وكأنه كان قد افتقد مكانها مع المجاهدين هناك فأراد أن يطمأن على سلامتها وان يشجعها ويرفع من معنوياتها ، وان يبين لها ان قلبه الكبير ورسالته السماوية تتسعان لكل من نذر قلبه للاسلام ،وانها بجهادها ذاك حازت عند ربها درجة المجاهدين الابرار . وقدروى عن الرسول انه قال يوم أحد ما التفت يمنا ولا شمالا الا وأنا أراها تقاتل دوني .هذه هي نسيبة في صدر الاسلام وهذه آيات بطولتها وجهادها بين يدي رسول الله(ص) وهي مندفعةوراء عقيدتها الخالصةوهذا هوموقف الرسول الاعظم من المرأة المسلمة وحتى بعد الرسول لم تكن جذوة الحماس الديني لتخمد في صدر نسيبهوقد اضائها فيجوانحها رسول الله ورسالته الخالدة فقد شهدت قتال مسيلمة باليمامة وتطوعت للجهاد وللدفاع عن العقيدة الاسلامية وابلت في تلك الوقعة بلاء حسناء وجرحت احد عشر جرحا وافتقدت يدها في تلك الوقعة كما فقدت ولدها ايضا وهي صابرة محتسبة لم تهن ولم

تثكل وأني لها أن تنكل او تتراجع وهي التي واكبت سير الرسالة منذ فجرها الاول ونذرت نفسها لقضيتها العادلة منذ شهدت بيعة الرضوان مع القلائل الذين شهدوها وهي التي روى عنها أنها اتت النبي فقالت ما أرى كل شيء الا للرجال وما أرى النساء يذكرون ، فكان أن نزلت الآية الكريمة «ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى آخر الآية » وبهذا اثبتت ان للمرأة المسلمة في الاسلام شأنا ومقاما ينص عليه القرآن الكريم وما كانت نسيبه لتندفع هـذا الاندفاع الثوري وتقوم بهذه التضحيات الجسام لو لم يقر لها الاسلام حقوقها كاملة في الحياة ولو لم يساوي بينها وبين الرجل على صعيد انساني واحد ولو لم يخلق لها الاسلام الجو الذي مكنها من ان تلعب دورها البطولي فيه على أساس أنساني فنسيبه امرأة ونساء قريش نساء أيضا ولكل من نسيبه المسلمة والمرأة القرشية الكافرة قلب امرأة وعاطفة انثى ومع هذا فقد خرجن القريشيات الى القتال مع أزواجهن ليضربن الدفوف ويذكين فيهم الاحقاد ويحملن مراود ومكاحل فاذا تكعكع أحدهم ناولنه اياها وقلن له أنت امرأة ،وخرجت نسيبه المسلمة وغيرها من المسلمات ليقاتلن ويطببن ويداوين ويثبتن حين يفر الرجال وقد روت أم عمارة

عنهن قالت رأيتهن يوم أحد وقدولين منهزمات مشمرات وهن يتبعن الرجال المنهزمين على الخيول على اقدامهن فيسقطن في الطريق فأي روح هذه التي جعلت من نسيبه داعية مسلمة تقاتل مع النبي حتى تجرح وتقاتل بعده حتى تقطع يدها وجعلت نساء قريش يضربن الدفوف ثم يولين الادبار منهزمات انها روح الاسلام وما يهبه للمسلمات من معنويات عالية . اعلى الله مقام أم عمارة ورزقها الخلد موئلا ومقاما وجعلنا ممن يقتفين آثارها ويهتدي بهداهـا وجعل من المجتمع الاسلامي الحاضر مجتمعا اسلاميا واقعيا يمكن المرأة المسلمة الواقعية من القيام بمهمتها كمسلمة وجعل المسلمات كأمهاتهن في مطلع الاسلام جديرات بتحمـل مسؤولية الدعوة للاسلام والحفاظ عليها . وهذه بطلة ثانية وهي نسيبة بنت الحارث الانصارية وكانت تعد من فواضل نساء عصرها ، ومن خيرة نساء الصحابة ،وقدغزت مع رسول الله في أكثر غزواته تمرض وتداوي ، وتقوم برسالتها كمسلمة على أروع وجه وابهاه . وكان تمريض مرضى الحرب وتطبيق جرحاه يعد في ذلك العصر الذي لم تكن وسائل العلاج المستحدثة موجودة فيه يعد ضرورة من أهم ضروريات الحرب ومقوم من مقومات انتصارها وصمودها امام الاعداء ،فلولا

وجود المطبب والمداوي لتلاشى الجيش ولا نشتغل كل جندي بأخيه وبصديقه ورفيقه .ولهذا فقد اسهم لها رسول الله سهم رجل تقديرا منه لموقفها البطولي وتشجيعا لها ولغيرها من المسلمات على مساندة الدعوة والقيام بما يقوين عليه من أعمـال وتضحيات . فالاسلام لا يريد ان يعزل المرأة المسلمة عن الدعوة ولا يريد ان يقعد بها عن مواكبة سير الرسالة وهو يعلم ان المرأة عضو فعال في كل مجتمع ولا يمكن للمجتمع الاسلامي ان يعيش وقد شل أحد اعضائه ولهذا فنحن نرى ان الرسول الاعظم كان يعني بالمتطوعات من المسلمات ويسهم لهن سهم رجل . . . ومن النساء المسلمات اللواتي شهدن الوقعات مع رسول الله يداوين ويطببن معاذة الغفارية وام منيع بنت عمر بن عدي بن سنان وهند بنت عمر بن حرام وامية بنت قيس بن الصلت الغفارية وقد روي عن أمية هذه انها قالت جئت رسول الله في نسوة من بني غفار فقلنا انا نريد ان نخرج معك الى خيبر يا رسول الله نداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال رسول الله على بركة الله قالت فخرجنا وقمنا بواجبنا في الجهاد نعم هكذا كن النساء المسلمات وقد حبب الاسلام اليهن الفداء وجعلهن يستهن بمصاعب الحرب واهواله ويسعين اليها مندفعات

غير هيابات ولا وجلات . وهكذا كان رسول الله رؤوفا بالمسلمات، بارا بهن ،لا يردلهن طلبا ولا يحط من مكانتهن،ولا يشعرهن بعجزهن فالمرأة انسانه كما ان الرجل انسان ولكل انسان حقه الطبيعي في الدفاع عما لديه والذود عما يعتز فيه وبما ان الاسلام هو أغلى شيء لدى المرأة المسلمة لم يشاء نبي الرحمة ان يحرمهن من لذة الزود عنه ، فهن متطوعات مندفعات وراء حماسهن الديني . . وممن شهدن الغزوات مع رسول الله أيضا حمنه بنت جحش وهي من المهاجرات ،وقد شهدت احد فكانت تسقي العشي وتداوي الجرحى وبرزه بنت مسعود بن عمر الثقفية وام زياد الاشجعية وهي سادس ست نسوه خرجن يوم خيبر فبلغ ذلك النبي فبعث اليهن فقال بأذن من خرجتن فقلن له خرجنا ومعنا دواء فنداوي الجرحى ونناول السهام ونسقي السويق ونغزل الشعر ونعين في سبيل الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم اقمن فلما فتح الله عليه خيبر قسم لهن كما قسم للرجال وكذلك أم سليط وهي من افضليات نساء عصرها وقد حضرت مع النبي أحدا وكانت تزحز القرب للمجاهدين وتقوم على مداواة المرضى منهم وأم سنان الاسلمية وقد استأذنت الرسول عند خروجه الى خيبر فقالت يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا

أخرز السقاء ،وداوي المرضى ،والجرحى ان كانت جراح وإلا تكون فأقصر الرجل ،فأذن لها رسول الله وقال اخرجي على بركة الله تعالى فأن لك صواحب قد كلمنني واذنت لهن من قومك ومن غيرهم فأن شئت فمع قومك ، وان شئت معنا فقالت أم سنان معك يارسول الله فقال رسول الله تكوني مع أم سلمة زوجتي فكانت معها وشهدت فتح خيبر كذلك أم الضحاك بنت مسعود الانصارية وأم العلاء الانصارية وكعيبة بنت سعد الاسلمية وأم سليم بنت ملحان بن خالد وقد شهدت يوم أحد وسقت فيه العطش ، وداوت الجرحى ثم شهدت يوم حنين وابلت فيه بلاء حسنا ، وكانت قد حزمت خنجرا على وسطها وهي حامل يومئذ بعبد الله ابن أبي طلحة فقال ابو طلحة يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقالت ام سليم يارسول الله اتخذ ذلك الخنجر ان دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه واقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فأنهم بذلك أهل فقال لها رسول الله يا أم سليم ان الله قد كفى واحسن . . .

اولاء جميعهن وكثير غيرهن من المسلمات كن يبذلن مهجهن رخيصة في سبيل المبدأ والعقيدة وهن في ذلك غير ملزمات فالاسلام لم يفرض الجهاد على النساء ولم يكلفهن بشيء منه رأفة

بهن وحرصا منه على فرز وظائفهن عن وظائف الرجال وتفرغهن لما تدعوهن اليه طبيعتهن الانثوية . ولهذا فنحن نرى ان كثيرا من النساء المجاهدات كن يستأذن النبي في الجهاد ولا يخرجن بدون اذن منه مع حرصهن الشديد على الخروج وكأن المرأة المسلمة كانت تتوق الى ما كتب للرجل من أجر في الجهاد وتأس لحرمانها منه فحاولت ان لا تدع فرصة الجهاد تفوتها وهي الحريصة عله، فخرجت تطبب وتداوي ثم تضرب وتقاتل فقد كانت المرأة في صدر الاسلام تأخذ الاسلام من منبعه الزاخر فتنطبع روحياتها وعواطفها انطباعا اسلاميا واقعيا فيهون لديها العزيز والغالي في سبيل عقيدتها ومبدأها السماوي وتقدم الضحايا من الاخوة والابناء قريرة فخورة ثم تحاول ان تقوم بنفسها أيضا بدور ايجابي في معارك الحق مع الباطل ، فتستأذن في شهود الغزوات وتشهدها فعلا وتبلى فيها البلاء الحسن ولم يكن موقفها ذاك الا بدافع من يقينها بالحق الذي هي عليه ، وثقتها من ان النعيم السماوي سوف يضم من تفقده من الاعزاء والاحباء . هذا اليقين الذي تغلب في المرأة المسلمة في صدر الاسلام على المشاعر العاطفية التي يزخر بها قلب كل انثى فالتاريخ يحدثنا عن صفيه بنت عبد المطلب بن هاشم وهي زوجة العوام بن خويلد

بن اسد وقدشهدتغزوة احد تطبب وتداوي فلما أنهزم المسلمون قامت وبيدها رمح تضرب فيوجوه القوم وتقول انهزمتم عنرسول الله فلما رأها رسول الله قال لابنها الزبير بن عوام القها فأرجعها لا ترى ما بشقيقها حمزه بن عبد المطلب فلقاها الزبير فقال يا امه ان رسول الله يأمرك ان ترجعي فردت عليه قائله ولم فقد بلغني انه مثل بأخي وذلك في الله عز وجل قليل فما أرضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولا صبرن انشاء الله تعالى فلما جاء الزبير رسول الله واخبره بذلك قال خل سبيلها ، فأتتصفية اخيها حمزه فنظرت اليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت له ولم تزد . . . هـذا كان هو رد فعل مقتل حمزه رضوان الله عليه لدى اخته صفيه لانها كانت مسلمة ،وكانتعلى يقينراسخمن ان اخاهاقد مضيعلى حق وقتل شهيدا في سبيل الذود عن رسالة السماء فقالت كلمتها الخالدةذلك فيالله عز وجل قليل. وأي شيء اشدهولا منان ترى أخت كصفيه اخاها الشهيد حمزه وهو قتيل وقد مثلت فيه اكلة الاكباد ولكن صفيه ماذا كان موقفها من ذلك كله . هل نادت بالويل والثبور ، هل جزعت وأقامت الدنيا صراخا وعويلا ، هل شتمت ولعنت قاتليه ،هلاظهرتالتبرم بالحرب .هلوقفت موقف

الاثى أم موقف الانسانه ، أبدا لم تقف موقف الاثى بل موقف الانسانه الصابرة صلت عليه واسترجعت واستغفرت له ، فلم تكن صفيه التجزع من الحق او تتبرم بما يفرضه الاسلام ، ولكنها بكته ما دامت جاهدة مقروحة ومن رثائها له قولها :

فوالله لا انساك ماهبت الصبا بكاءا وحزنا محضري ومسيري
فياليت شلوي يوم ذاكواعظمي لدى اضبع تقتادني وقسوري

كما ان ان موقف الخنساء بنت عمر ابن الشريد من فقد أخويها قبل الاسلام وأولادها الاربعة بعد الاسلام يدل بوضوح على الروحيات السامية التي كن يعشن بها النساء المسلمات في صدر الاسلام . فقد فقدت الخنساء أخويها صخرا ومعاوية في عصر الجاهلية انتزعتهمامنها ايدي حاقدة وحزازات عصبية قبلية فأفرطت في الجزع لذلك ونظمت بهما المراثي الطوال التي ضاهت بها اكابر الشعراء ودأبت على ان تشهد سوق عكاض من كل سنة على هودج مكلل بالسواد تنشد المراثي وتنعى أخويها القتيلين واشعارها في رثاء صخر تشير الى لوعتها المحمومة وصبرها الذائب في آتون الحقد والضغينة ومما قالته في صخر راثية .

يؤرقني التذكر حين امسى ويرد عني مع الاحزاني نكس
على صخرواي فتى كصخر ليوم كريهة وطعان خلس
فلم ارى مثله رزأ لجن ولم ارى مثله رزأ لانس
ألا ياصخر لا انساك حتى افارق مهجتي ويشق رمسى
ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسى
يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره بكل غروب شمسى
وما يبكون مثل اخي ولكن اسلى النفس عنه بالتأس

ومما قالته في أخيها معاوية :

فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي عليك بحزن مادعا الله داعية

ثم تمضى السنون والخنساء لا تنفك تبكى اخويها بمراره واسى ، حتى تشرق شمس الاسلام فتسلم الخنساء مع من اسلم وهي لا تزال تبكي اخويها ليل نهار حتى تتقرح اجفانها لذلك ، فيقال لها ما قرح مآقي عينيك فتقول بكائي على السادات من مضر فيقال يا خنساء انهم في النار فتقول ذاك اطول لعويلي عليهم كنت ابكي لصخر على الحياة وانا اليوم ابكى له من النار ثم حضرت حرب القادسية ومعها بنوها وهم اربعة فقالت لهم من أول الليل يابني اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا إله الا هو انكم

بنو امرأة واحدة ماخنت اباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما اعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فأذا اصبحتم غدا انشاء الله سالمين فأغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على اعدائه مستنصرين فأذا رأيتم الحرب وقد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وجللت نارا على ارواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رأيسها عند احتدام خميسها تطفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة . . وفعلا فقد خرج اولادها الاربعة واستبسلوا في القتال حتى قتل الواحد تلو الاخر فلما بلغها الخبر قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته . . . هذا هو الاسلام وهذه هي روحياته المثلى التي تحبب الى الام شهادة ابنها وتهون لديها مصابها فيه وهذه هي المرأة المسلمة التي لعبت دورها في المجتمع المسلم كأنسانه وعلى حساب انسانيتها التي أقرها لها الاسلام والتي اختصت بها المرأة المسلمة في ظل شريعة الاسلام دون غيرها من النساء والامم الغير الاسلامية فعندما

شعرت المرأة المسلمة ان الاسلام يحلها في مجتمعه المسلم محل الانسانه ذات الكيان الخاص رأت ان عليها ان تثبت لها ذلك الكيان وان تبرهن في سلوكها عن جدارتها للمحل الذي أحلها منه فخلدت لها في صفحات التاريخ أروع آيات البطولة والفداء وقد تمكنت المرأة المسلمة في صدر الاسلام ان تبرهن على ذلك وتأكده ويكفي المرأة المسلمة فخرا موقف الحوراء زينب عندما قالت كلمتها المأثورة وهي على جثمان أخيها الامام «اللهم تقبل منا هذا القربان» ولم يكن فقيد الحوراء كغيره ممن فقدته النساء ولم تكن مصيبته كغيرها من المصائب وهو الامام والاخ والحبيب وبعد ان تقدمه الى الشهادة خيرة بني الاب والعم والاصحاب والانصار فأي عقيدة هذه التي دفعت الحوراء الى هذا الفداء والحوراء انثى لها مالدى كل انثى من رقة عاطفة ومشاعر حساسة ثم هي اخت وقد فقدت في فقد أخيها ركنها الركين وحصنها الامين وريحانة ابويها وجدها العظيم ثم هي ايضا مسلمة وقد شاهدت قوى الظلم تبغي على الحق وتردي بضعة النبوة والرسالة ولكن ومع كل هذا تقف على جثمان أخيها لتقول اللهم تقبل منا هذا القربان . يالله ما اقدس قربانك يابنت رسول الله واسمى معنوياتك يا عقيلة بني هاشم وما

أروع هذا الفداء الذي افتديت به شريعة جدك ورسالة السماء فركزت بذلك اركان الدعوة الاسلامية على مدى العصور والاجيال.

بطولة المراة في حمل الفكرة :

وأما على صعيد حمل الفكرة ونشر الثقافة الاسلامية ومفاهيم الشريعة الجديدة واحكامها فما أكثر النساء اللواتي أخذن الاسلام من منبعه الزاخر فبشرن به ودعون اليه بعد ان تعمقن في فهم الاسلام فكن مدارس اسلامية يروين عن النبي ويروي عنهن .

وفي طليعة الروايات عن النبي والناشرات لاحكام الاسلام الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها . فقد روت عن ابيها ، وروى عنها ابناها الحسن والحسين ، وزوجها امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام ، وعائشة وسلمى ام رافع ، وانس ابن مالك ، وام سلمة ، وارسلت عنها فاطمة بنت الحسين وغيرها .

وروت عن الرسول ايضا اسماء بنت عميس الخثعمية وروت عنها أم جعفر وأم محمد ابنتا محمد بن جعفر . وروت عن النبي أيضا ام اسحاق بنت سليمان ، وروى عنها محمد بن العباس بن الوليد عن أبيه عن أمه عن ام اسحق عن ابي عبد الله . وممن روين عن النبي اسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية . واسماء هذه كانت محدثة فاضلة ، ومجاهدة جليلة ، من ذوات العقل والدين

والخطابة ، حتى لقبوها بخطيبة النساء . وقد اتت النبي وهو في اصحابه فقالت : بابي وامي انت يارسول الله انا وافدة النساء ان الله عزوجل بعثك الى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبألاهك ، وانا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات اولادكم وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، فأن الرجل منكم اذا خرج حاجا او مجاهدا حفظنا لكم اموالكم وربينا اولادكم ، أفلا نشارككم في هذا الاجر ؟ فالتفت النبي الى اصحابه بوجهه كله ثم قال : سمعتم ما بمقالة امرأة قط احسن ما مسألتها في أمر دينها من هذه ؟ فقالوا يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدى الى مثل هذا . فألتفت اليها وقال : افهمي ايتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء ان حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله . فانصرفت وهي تهلل . وقد روت اسماء بنت يزيد هذه ٨١ حديثا عن النبي . وروي عنها ابن اختها محمود ابن عمر الانصاري ، وابو سفيان مولى بني احمد ، وعبد الرحمن بن ثابت الصامت الانصاري ، ومجاهد بن حبيب وغيرهم .

وموقف اسماء هذا يعطينا صورة واضحة عن مكانة المرأة في الاسلام ، وعن قوة شخصيتها التي اكسبها اياها الاسلام ، وعن روحياتها السامية التي منحها الاسلام اهم مقوماتها . وقد روت عن رسول الله ايضا فأخته ام هاني بنت ابي طالب . وقد روت ٤٦ حديثا ، وروى عنها مولاها ابو مرة وابو صالح بازام وابن ابنها جعدة المخزومي وابن يحيى بن جعفر وابن ابنها هارون وعبد الله ابن عياش وعبد الله بن الحارث بن نوفل وابنه عبد الله والشعبي وعبد الرحمن بن ابي ليلى وعطاء وكريب ومجاهد وعروة بن الزبير ومحمد بن عقبة بن ابي مالك . وقد روت عن النبي أيضا فاطمة بنت قيس بن خالد الاكبر بن وهب القرشية الفهرية ٣٤ حديثا ، وروى عنها القاسم بن محمد بن ابي بكر بن ابي الجهم وابو سلمة ابن عبد الرحمان وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبد الله بن عبيد بن مسعود والاسود بن زيد وسليمان بن يسار وعبدالله البهي ومحمد بن عبد الرحمن بن ثابت وسحيم مولى فاطمة بنت قيس وعائشة وام سلمة وغيرهم .

وكذلك روت عن النبي أيضا نسيبة بنت الحارث الانصارية وهي من نساء الصحابة ، وقد روى عنها انس بن مالك ومحمد بن

سيرين وعبد الملك بن عمير وحفصة بنت سيرين واسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية وأم سراحيل . ومن الروايات عن النبي أيضا أم مبشر بنت البراء بن مقرور الانصارية ، وهي صحابية ، روت عن النبي عشرة احاديث ، وروى عنها جابر بن عبد الله الانصاري ومحمد بن عبد الرحمن بن خلاد الانصاري ومجاهد بن جبير . وقد روت عن النبي أيضا ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم المؤمنين وقد روت عن النبي ستة وسبعين حديثا ، وروى عنها ابن اختها عبد الله بن عباس وابن اختها الاخرى يزيد بن شداد بن الجهاد وابن اختها عبد الرحمن بن السائب الهلالي وابن اختها الاخرى يزيد بن الاصم وربيبها عبيد الله الخولاني ومولاتها ندبة ومولاها عطاء بن يسار ومولاها سليمان بن يسار وابراهيم بن السباق وعبيد الله بن عتبة وغيرهم . وممن روين عن النبي أيضا ميمونة بنت سعد مولاة النبي ، وقد روى عنها ايوب بن خالد بن صفوان وطارق وعبد الرحمن وهلال بن ابي هلال المدني وابو زيد الضبي وآمنة بنت عمر بن عبد العزيز وزيارة بن أبي سورة وعثمان ابن ابي سودة . ومن الروايات عن النبي (ص) أيضا ام سلمة ام المؤمنين ، وقد روت عن رسول الله وعن ابي سلمة وعن فاطمة

الزهراء ٣٨٧ حديثا ، وروى عنها ابناها عمرو وزينب ابنا ابي سلمة بن عبد الاسد ومكاتبها نبهان واخوها عامر بن امية وابن اخيها مصعب بن عبد الله بن امية ومولاها عبد الله بن رافع ونافع وسفينة وابو كثير وابن سفينة وخيرة ام الحسن البصري ونعمان بن بشار واسامه بن زيد عن الحارثة وهند بنت الحارث الفراسية وصفية بنت شيبة وابو عثمان الهدى وحميد وابو اسامة ابنا عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن المسيب وابو وائل وصفية بنت محصن الشعبي وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابناه عكرمة وابو بكر وعثمان بن عبد الله بن وهب وعروة بن الزبير وكريب مولى ابن عباس وقبيعة بن ذؤيب ونافع مولى بني عمر ويغلى بن مملك وعبد الله بن عباس وعائشة وابو سعيد الخدري وآخرون .

انظر الى هذه المدرسة الاسلامية الحية التي كانت تتمثل في المسلمات العالمات الفاهمات ، وانظر الى كفائتهن لذلك بعد ان كانت المرأة قبل الاسلام مؤودة ، وهي وليدة ومملوكة للرجل ، وهي امرأة ومشكوك في انسانيتها عند مختلف الامم وفي شتى الشرائع والقوانين ، ولكن الاسلام والمرأة في ظل شريعة الاسلام

أرتفعت بكيانها وعلى حساب انسانيتها الى محل رفيع خولها ان تكون راعية للرسالة السماوية وشارحة لاحكامها وآدابها . فالمرأة المسلمة والرجل المسلم بالنسبة للرسالة والدعوة سواء ، فقد امتدت اليهما معايد الاسلام لترفعهما من وهدة الجهل والضلال ، واشرقت عليهما معا أيضا شمس الرسالة لتضيء لهما طريق الحق في الحياة . ولهذا فأن عليهما معا ان يعملا في سبيل الاسلام ما وسعهما عمله . وكثرة النساء المسلمات اللواتي روين عن الرسول يدل دلالة واضحة على الوعي الاسلامي الذي كان يضيء افكار المسلمـات ، وممن روين عن النبي ايضا ام هشام بنت الحارث الانصارية ، وسبيعة بنت الحارث الاسلمية . وقد روي لها عن رسول الله اثنا عشر حديثا ، وروى عنها فقهاء المدينة والكوفة كعمر بن عبدالله بن الارقم ومسروق بن الاجدع وزفزني بن اوس بن الحدثان وعبيد ابو سوية وعمر بن عتبة بن فرقد . وروت عن النبي ايضا ضباعه بنت الزبير بن عبد المطلب الهاشمية ، وهي مهاجرة من المهاجرات الاولى ، روت عن النبي وعن زوجها المقداد ابن الاسود احد عشر حديثا ، وروى عنها ابن عباس وعائشة وابنتها كريمة بنت المقداد وابن المسيب وعروة بن الزبير والاعرج

وغيرهم . وروت عن النبي أيضا أم الحصين بنت اسحق الاخمسية، وام حكيم بنت امية ، وام اسحق الغنوية ، واسماء بنت وائلة بن الاسقف الليثية ، وامامه بنت حمزة بن عبد المطلب ، وامية بنت رقيقة ،وانسيه بنت حبيب بن يساق الانصارية ،وام بجيد الانصارية وخولة بنت قيس الانصارية ، وام عثمان بنت سفيان القرشية ، وكثيرات غيرهن من المسلمات اللواتي كن يأخذن الاسلامية من مصدرة لروايته والدعوة اليه ، واللواتي حملن بأكفهن مشعل الدعوة والهداية .

هذه هي المرأة المسلمة الانسانة في صدر الاسلام التي خلدت لها في تاريخ الامة الاسلامية اسمى ذكر واروع اثر . والمرأة المسلمة اليوم هي بنت تلك المرأة المسلمة التي عرضت صدرها لحراب الاعداء وشهدت بعينها قتل الاباء والابناء . فما الذي يقعد بالمرأة المسلمة البنت عن ان تعيد تاريخ المرأة المسلمة الام ، وان تقفو خطواتها في الحياة ، لاشيء غير انها افتقدت وبالتدريج ونتيجة لابتعادها عن روح الاسلام الحقيقية انسانيتها ، وعادت مجرد انثى تتلاعب بها الاهواء والتيارات ،وتسخرها ميول الرجال ،ويستهويها كل لمح كاذب او وميض خادع ، ولهذا فقد وقعت في احابيل

شائكة شوهت انوثتها ، وافقدتها شخصيتها كأنسانة في الحياة ، فهي مهما سمت او حاولت السمو لن تتمكن ان تسمو كأنسانه مستقلة ما دامت تخضع لاحكام الرجل في اتخاذ طريقتها في الحياة وتتبع ما يمليه عليها من اساليب الخلاعة الرخيصة . فما الذي يمنع المرأة المسلمة اليوم من ان تشق طريقها في الحياة ثقافة وعملا مع محافظتها على حجابها الذي يلزمها الاسلام به ؟ لاشيء غير غضب الرجال لذلك ، وسخطهم عليه ، لانه سوف يحول دون متعة استجلاء مفاتن المرأة ومحاسنها . فهل السفور من شروط طلب العلم ؟ او هل الخلاعة والتهتك من شروط الثقافة والتمدن ؟ . لا والف لا ليس للسفور ولا للخلاعة اي دخل من قريب او بعيد في العلم والثقافة ويمكن التمييز بينها وبسهولة أيضا متى ما عادت المرأة المسلمة،واحست بوجودها كأنسانه لا كأداة من ادوات ارضاء الرجل . ولكن اعداء الاسلام لن يسمحوا بفرز العلم عن السفور والثقافة عن الخلاعة ، فهم يحاولون بشتى الاساليب المغرية ربط الاثنين معا ليحطوا من شأن المرأة المسلمة ومن مكانتها في العالم ، ولكي لايكون بدلا عن أم عملرة واحدة الف لم عمارة ، وبدلامن اروى واحدة الف اروى ، وهذا ما يخشاه اعداء الاسلام ، وهذا أيضا ما يجب على كل مسلمة ان تسعى اليه جاهدة .